

کتاب

﴿ الدرر البهية ﴾

{ في } —

﴿ جواب الاسئلة الهندية ﴾

تأليف

﴿ حضرة العلامة المحقق أبي الفضائل اليراني ﴾

(زيل القاهرة)

{ حقوق الطبع محفوظة }

(حضرة ميرزا حسن الخراساني وفرج الله زكي الكردستاني)

(طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)

(سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م)

کتابخانه شخصی
پولیتک انستیتوت
۱۸
کتابخانه شخصی
پولیتک انستیتوت
۱۸

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن أضاء بأنوار وجهه آفاق الاكوان • وشكراً
 لمن زين نوع البشر بين الخليفة بجواهر العلم والتبيان •
 وثناء وسلاماً وتحية واكراماً على أول نور انبعث من
 ارادة ربه الرحمن • صاحب المقام المحمود • واللواء
 المعقود • والحجة البالغة على كل من في عوالم الغيب
 والشهود • آية الله بين خلقه • وحجته القائمة على عباده •
 وكتبته المقدسة الظاهرة بعد غيبة ذاته • وعلى آله وأصحابه
 وتابعيه وأحبابه الذين طابت سرائرهم بما وفوا به من كلمة
 العهد والميثاق • وتنورت ضمائرهم بما توجهوا الى شمس
 صفاته وأسماؤه بعد الاشراق • وبعد فيقول الفقير الى
 رحمة ربه الغني فرج الله زكي الكورستاني الازهري لما رأيت
 رسالة جواب الاسئلة الهندية التي صنفها العلامة المحقق
 أبو الفضائل محمد بن محمد رضا الايراني بلغ الله المسلمين
 به الى أعلى المقاصد وأجل الاماني رسالة مشتملة على
 غرر من المطالب العلمية العالية ونخب من المسائل الدينية
 والتاريخية والفلسفية السامية مما لا يستغنى أرباب الفضل

عن معرفته واقتنائه وادراكه واستقصائه خصوصاً في
 هذا الزمان الذي زاد وكثر فيه اختلاط القبائل والملل
 وتفاقت واتسعت مناظرات أصحاب المذاهب والنحل وقد
 رأينا في هذه الرسالة مع وجازتها واختصارها مما بين
 حقيقة الدلائل والبراهين ما لا يوجد في غيرها من كتب
 أساتذتنا المتقدمين والمتأخرين خصوصاً في بيان ماهية
 المعجزات المزوية عن الانبياء والمرسلين وخوارق العادات
 التي يعزوها كل أمة الى رؤسائها الروحانيين فرأينا
 كالواجب علينا أن نقوم بطبعتها ونشرها ليتيسر لكل
 طالب اقتنائها ويسهل على كل مستفيد ادراكها خدمة
 للعلم وأهله ومساعدة للفضل وذويه فقمنا بفضل الله وعونه
 بطبعتها ونشرها مع حضرة السيد الحليل النبيل فخر التجار
 الحاج شريف ميرزا حسن الخراساني بلغه الله الى أشرف
 المقاصد والاماني وقد شرح الفاضل المصنف ما غمض من
 مسائلها فأضفناه اليها تحت كل صفحة على سبيل الحاشية
 وأوضحنا ما أبهم من لغاتها وما يحتاج الى التفصيل من
 مجملاتها فنرجوه تبارك وتعالى أن ينتفع به أهل الاستعداد
 ويستضيء بنبراسه أصحاب الرشاد • ويجعله ذخراً لنا
 في يوم التناد • انه هو ولينا في المبدأ والمعاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد وأشكر ربنا العليّ الاعلى . وأسبح
 وأسجد لوجهه الاقدس البهيّ الابهى . وأصلي
 وأسلم على مشارق نوره ومطالع أنوار ظهوره
 بين الورى . سيما الفرع الكريم . المنشعب من
 الاصل القديم . السر القويم . المنبعث من ارادة
 ربه الرحمن الرحيم . جعلنا الله من المستظلين
 تحت لوائه . المنخرطين في سلك أوليائه وأحبابه .

(مولى أعاد نهار الاولين وقد)

(أقام للمجد صرحا ليس ينهدم)

(لا زال في ذروة العلياء مرتقيا)

(مارنحت في روابي روضه النسم)

بعد الحمد والصلاة يقول العبد الضعيف

أبو الفضل محمد بن محمد رضا الجرفادقاني الايراني

ان حضرة العالم الفاضل نور الدين أحد علماء الهند

المعروفين جعله الله تعالى وايانا من المتنورين بنور

اليقين سألنا عن بعض مسائل دينية وعلمية مما

يتعلق بعضها بالمسائل التاريخية القديمة العتيقة مما

لا تخفى على اللبيب وعورة مسلكها وغموض

مدركها لتقدم عهدا وانعدام مهدها ودروس

آثارها وزوال أنوارها فرأينا أن نجيب حضرته

بما وسعه علمنا وأحاط به فهمنا راعين جانب

الاختصار معترفين بقلّة البضاعة وعدم المقدرة على

المسابقة في هذا المضمار ونسأل الله تبارك وتعالى

في فاتحة القول أن يحفظنا بفضل من الزلل في
الرأي والشطط في الخطاب انه هو ولينا في المبدأ
والمآب .

❦ المسألة الاولى ❦

سأل حفظه الله عن اعتقادنا في عمر نوح
عليه السلام هل هو كما نزل في القرآن الشريف
عاش تسعمائة وخمسين عاماً أو له معنى آخر

❦ الجواب ❦

اعلم أيها السائل الفاضل يسر الله لنا ولكم
الوصول الى أقرب الوسائل وأتقن الدلائل أن
لاهل العلم في أمثال هذه المسائل نظرين ديني
وعلمي .

{ أما النظر الديني } فعلوم أن كل من
اعتقد بحقية رسالة سيدنا النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وأن القرآن الشريف كتاب الله الذي نزل
من السماء اعتقد بالضرورة بصحة جميع ما ورد في

هذا الكتاب الكريم وصدق ما نزل في هذا
السفر العظيم سواء كان قريباً من أفهام الناس أو
بعيداً عنها ما لم يحكم العقل الصريح باستحالته ولم
يقم قاطع البرهان على امتناعه* ومن له أدنى الملم
بالادلة العقلية والقياسات المنطقية يعرف بالبداهة
أن غاية ما ينكرونه في مسألة طول أعمار
الاقدمين إنما هو من قبيل الاستبعاد العادي
لا الاستحالة الحقيقية والامتناع العقلي اذ لم يتم
أدنى دليل قطعي على استحالة طول الاعمار اكثر
مما هو مألوف في هذه الاعصار* خصوصاً في أهل
الازمان القديمة والاعصار الغابرة التي انقطعت
يد الكشف والاستقصاء عن تحقيق أحوالهم
ومدد أعمارهم بسبب انقطاع تاريخهم ومحو آثارهم .
والعاقل اللبيب بمجرد الاستبعاد لا يحكم بخلاف
ما نزل به القرآن الشريف وصرح به الكتاب
المجيد إنه لقول فصل وما هو بالهزل .

{ وأما النظر العلمى } فمعلوم أن العالم المحقق لا يذعن لامثال هذه المسائل الا بعد معرفة مصادرها ومقدار امكان الوثوق والاعتماد عليها. ومن المعلوم أن التواريخ القديمة المنبثة عن كيفية ابتداء الخلق ليست الأربعة تواريخ مما تعتبره الامم الكبيرة وتستمد من مصادرها الملل العظيمة* وهى تاريخ البوذية (أهالى الصين) وتاريخ البرهمية (سكان الهند) الاصلين وتاريخ الزرتشتية (أمم الفرس الاولى والاكاسرة العظمى) وتاريخ العبرية أى اليهود ومن اعتبر صحة رسالة موسى* ومن عجيب ما ينتبه اليه المتبصر أن هذه التواريخ المذكورة مع اختلاف مفاهيمها اختلافاً لا يرجى جمعها وتطبيق بعضها على بعض وبعد مشارب أهلها والتفاوت الفاحش فى أزمانها والاختلاف الواضح بين الاسماء والحوادث المذكورة فيها اتفقت فى مسألتين وهما طول أعمار الاولين طولاً مفرطاً

عما هو معهود فى أعمار الآخرين ومزجها بحكايات أشبه بالاقاصيص الخرافية عند المحققين وبعمميات وأحاجى ورموز عند المعتدلين .
 أماتواريخ البوذية والبرهمية والزرتشتية فلا يوجد فيها ذكر من آدم وحواء ولا شيث ونوح وأمثالهم ولا قصصهم ووقائعهم ولا ما يقارب هذه الاسماء بل وردت كل هذه الاسماء فى تاريخ العبريين فقط ومنهم انتقلت الى الامة النصرانية والملة الاسلامية* ولما صحح عن النبي عليه السلام أنه قال (بعثنا معاشر الانبياء نخطب الناس على قدر عقولهم) وكذلك (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) كما نقله القاضى العلامة محمد ابن أحمد بن رشد الاندلسى فى كتاب الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة عن البخارى فلا يمكن للعالم المحقق والحالة هذه أن يستمد فى المسائل التاريخية عن الآيات القرآنية والاحاديث

النبوية* ومن المعلوم أن الانبياء ومظاهر أمر الله عليهم السلام بعثوا لهداية الامم وتهذيب اخلاقهم وتقريب الناس الى مرجعهم وما بهم وما بعثوا مؤرخين أو فلكيين وفلاسفة وطبيعيين فان شؤونهم في عالم الخلق كشأن القلب في عالم البدن شأن كلي وأثر عام . وشؤون العلماء في عالم الملك كشأن العضو المعين بين الاعضاء شأن خاص وأثر مخصوص . ولذلك تساهل الانبياء عليهم السلام مع الامم في معارفهم التاريخية واقاصيصهم القومية ومبادئهم العلمية فتكلموا بما عندهم وتفاوضوا بما يلائمهم وستروا الحقائق تحت أستار الاشارات وخذروا حوريات المعاني في قصور الآيات وأسدلوا عليها ستار بليغ الاستعارات فلا يشك عاقل اذا أن ماورد في القرآن المجيد والفرقان الحميد من كيفية بدء الحلقة ومناظرة الملائكة وقصص آدم وشيطانه ونوح وطوفانه كلها حقائق تخبر

عما يتجدد في مواعيد تجدد العالم ويتحقق في مواقيت انقضاء آجال الامم بظهور الحقيقة المقدسة الاولى وتجدد الشرائع الالهية* فلا يجوز للمؤرخ من حيث العلم أن يعتمد على ظواهر هذه الآيات اذ لا يمكنه سد باب الاحتمال الراجح أن تكون لها معان عالية وتأويلات سامية غير ما هو مفهوم من ظواهرها ومسموع من مصادرها* وليس احتمال تأويل الآيات من شذوذ التصورات أو نوادر الاحتمالات حتى لا يعبا به أرباب الفضل ولا يعتنى به أهل العلم بعد ما نزل في الكتاب المجيد (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) وجاء في القرآن الحميد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) وبعد ما صرح من الاثر الشريف واستفاض من السنة المأثورة أن لا آيات القرآن

بطونا غامضة عميقة وتأويلات عالية دقيقة عرفها
 أهله وأدركها حملته من الله بكشفها على عباده
 الثابتين وأرقائه المخلصين* وليس المراد من التأويل
 الا المعاني الاصلية المقصودة مما ستره الله تعالى
 في بطون الآيات وأخفاه تحت ستائر الاستعارات*
 وليس هذا من شأن البشر حتى يخوض في غماره
 كل جاهل ويفسر الآيات برأيه كل خامل كما فعله
 بعض الجهلة بغرورهم وضلوا وأضلوا كثيراً
 بتفاسيرهم وأبعدوا الناس عن معين الحياة وأخفوا
 عنهم سبيل النجاة* بل هو من شؤون مظهر أمر
 الله ومنجز وعده كما صرح به في الكتاب حيث قال
 (فَإِذَا قَرَأْتَ نَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (١)
 فإذا ثبت أنه لا يمكن للمؤرخ أن يستمد في
 معارفه التاريخية من ظواهر آيات القرآن ولا

(١) وسيلحق تفسير هذه الآية الكريمة في آخر الكتاب

ويجب أن يتنبه إليه فانه في غاية من النفاسة

ذكر لنوح وأمثاله في سائر التواريخ القديمة فلا
 يبقى اذاً بين يدي المؤرخ الا التوراة وسائر
 الكتب من العهد العتيق* والناقد البصير اذا أمعن
 النظر في هذه الكتب المقدسة مجانباً أمياله
 المذهبية والتقاليد والآراء الملققة القومية يرى
 فيها قسمين مفروزين من التعليمات جديرين بمزيد
 التوجه والالتفات

{ القسم الاول } ما نسب في الكتاب بانه
 من الله وتكلم به الله أو أنزل من لدى الله . وفيه
 الاحكام والحدود والشرائع والسياسات والاخبار
 عن الامور الآتية من قبيل الانذارات
 والبشارات وأعظم هذه بشائر ورود (يوم الله)
 وآثاره وآياته وعلائمه واشراطه مثل الكلمات العشر
 في أصل التوراة والنشيد والبركة الواردة في أواخر
 سفر التثنية وزبور داود وكتاب أشعيا النبي
 وكتب يرميا ودانيال وحزقييل وزكريا وغيرهم

من أنبياء بني إسرائيل . ومن أوتي بصيرة من
الله وموهبة المعرفة والتميز بين تصانيف البشر
وآيات الله يعترف بان هذه الكتب كلها آيات
الهيّة وكلمات سماوية وبشار و نذر ربانية توقد
وتضيء وتتألق من الشجرة المباركة الموسوية
كسراج منير في الليلة الليلي أو كنجم بازغ من
السماء القصوى .

{والقسم الثاني} ما ينجر عن الامور
التاريخية من كيفية ابتداء الخلقه وانشعب القبائل
وانبثاث الخلق على وجه الارض وتاريخ حياة
الانبياء وحوادث أيامهم وتعداد الملوك ووقائع
دولهم * كالتواريخ الواردة في الاسفار الخمس من
ابتداء خلقه آدم الى وفاة موسى عليه السلام
وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتابي الصموئيل
وكتابي الملوك وكتابي أخبار الايام وكتاب عزرا
وكتاب نحميا وأمثالها من كتب المؤرخين وهذه

الكتب ليس فيها تصريح أو تلويح أو أدنى إشارة
بانها وحي سماوي أو كلام أو الهام الهي فلا يجوز
على المؤرخ أن يعتمد عليها ويجزم بصحة ما ورد
فيها . ويحلها محل الوحي السماوي الا اذا عرف
مصنفي هذه الكتب ومن يعرف مقدار اختلاف
العلماء في تعيين مصنفي هذه الاسفار والادلة التي
اعتمد كل فرقة منهم عليها في رأيه واعتقاده يعرف عدم
جواز الركون والاعتماد على صحة ما ورد فيها . ومن
الحماقة أن يعتمد العاقل الناقد على كتاب لا يعرف
بالتحقيق مصنفه ويحسب وحيًا الهيًا وكلامًا سماويًا
مالم يتعين بعد الفحص والتدقيق مصدره ومؤلفه *
مثلا اذا تصفحنا اقوال كبار العلماء في تعيين مصنف
الاسفار الخمس أصل التوزاة وأساس التواريخ
العبرية نرى ثمة اختلافًا كبيرًا لا يرجي بالكشف
والاستقصاء زواله ولا ينتهي الى ركن وثيق غايته
ومآله فان كثيرًا من العلماء اعتقدوا بان مصنف

هذه الاسفار هو موسى عليه السلام وان كان يكذبهم
ويذهب بقيمة رأيهم ماورد في آخر هذا الكتاب
من ذكر وفاة موسى وكيفية اقامة بني اسرائيل
مناحة له بعد وفاته وتم شواهد اخرى تدل دلالة
واضحة على انها صنفت بعد وفاة موسى بمدة غير
وجيزة. وبعضهم ذهب بلا دليل يركن اليه الى ان
المصليين الاخيرين من سفر التثنية من تصانيف
يوشع بن نون فانه صنفاها وأضافها على الاسفار
الخمسة التي صنفاها موسى تيمنا لمصنفاته وتكميلا
لتاريخ حياته وتوضيحا لحال الشعب بعد وفاته.
وبعضهم قال ان هذه الاسفار من مصنفات يرميا
أو أحد غيره من أنبياء بني اسرائيل وهذا القول
أيضا كأقوالهم السابقة لا يخلو من ضعف التعليل
أو فقدان الدليل. وجماعة من المحققين ذهبوا
ولعلمهم أصابوا (اذ لا يخلو هذا القول من قوة
نوعا) الى أنها من تصانيف عزرا الكاهن الذي

عبر عنه في القرآن الشريف بعزير. فانه بعد ما رجع
القوم من جلاء بابل بأمر الملك الكبير اردشير
وبني القدس الشريف وجمع شمل اليهود
وأحي بيت داود طلب الشعب منه نسخة
التوراة وكان عزرا رجلا فاضلا. وكاتباً ماهراً.
وكاهناً ديناً. تعلم في مدينة بابل في مدارسها
الكبيرة. وحاز معارف واسعة. وفنوناً نافعة.
على مقدار ما بلغت سعة المعارف في تلك الاوقات
فان مدينة بابل اذ ذاك كانت موئل المدينة.
ومشرق أنوار العلم والحكمة فكتب عزرا اجابة
لطلب الشعب كيفية ابتداء الخلقة وتفرق النسل
وانشعب القبائل وانبات الخلق الى وفاة موسى
عليه السلام في خمسة أسفار وأدرج فيها ما أوحى
الى موسى من ربه وما شرع موسى (أو يوشع
كما يشهد به بعض عبارات السفر^(١)) لانتظام
أحوال شعبه.
١ (اي اصحاح ٢٤ من سفر يشوع)

فاذا علم بالإجمال أن قصص نوح وأمثاله لم
 تذكر في تواريخ الملل الكبيرة العتيقة . مثل
 الأمم الصينية والفارسية والهندية . ممن لا يهان
 بسعة معارفهم . وقدم تمدنهم . وتقادم عهدهم .
 ووسعة ممالكهم . وانتشار ماثرهم . ولا يعلم
 بالتحقيق مصنف الاسفار الخمس العبرية . وعلم
 أيضاً أن سيدنا النبي وسائر الانبياء عليهم السلام
 كانوا لا يناقشون الناس في عقائدهم التاريخية .
 وكانوا يتكلمون معهم بما عندهم من المعارف
 الموروثة القومية . علم بالضرورة أنه لم يبق مجال
 لأهل الاجتهاد والتحقيق أن يبتوا رأياً في هذه
 المسائل من جهة العلم . فاذا سد طريق الاجتهاد
 فما بقي ثمة الا وجهة الدين . والاذعان التعبدى
 لظواهر ما ورد من الانبياء والمرسلين .
 ومن المدهشات التي تحير العالم الفاضل .
 وتجب نظر الفطن العاقل . وتسيء الظن بما

كانوا يحسبونه من المسلميات وتوجب على المؤرخ
 غاية الدقة في الكشف والاستقصاء حتى على
 ما يعدونه من البديهيات . انه الى يومنا هذا
 ما وجدوا في الآثار العتيقة المصرية ما يدل أدنى
 دلالة على كون بنى اسرائيل في مصر وقيام موسى
 عليه السلام بينهم بالرسالة . وطلبهم النجاة من ظلم
 القراعنة بزعامته . وهجرتهم الى بر الشام تحت
 رايته . وهم قوم حريون يعد المحابون منهم ثمانمائة
 الف أو يزيدون فاتبعهم فرعون بجنوده . وغرقوا
 في البحر بكفرانه وججوده . مع أن الآثار
 العتيقة المصرية كما يعرفه أهل العلم اكتشفت بها في
 هذا القرن من التواريخ الصحيحة ما أخفى عليه
 الدهر وأخفاه مدة مديدة تحت حجاب كثيف
 من الستر حتى محي ذكرها من الكتب والاسفار .
 وتتابع عليها القرون والادوار . الى أن أحياها
 الله في هذا العصر المجيد الذي هو عصر ظهور

الإسرار . وطلوع نور الأنوار . وزوال الظلمات
 المتراكمة الخائلة دون الأنظار . فقام جماعة من
 أفاضل الغربيين . واكتشفوا من تلك الآثار
 العتيقة حقيقة تاريخ المصريين . فظهرت أسماء
 ملوكهم وفراعنتهم . وأفعالهم وأحوالهم . وعدة
 بيوتهم وعائلاتهم . وديانتهم وعاداتهم . وآلهتهم
 ومعبوداتهم . فأحيت تلك الآثار للفراغة ذكراً
 صريحاً . وربت لدولهم ترتيباً صحيحاً . ومهدت
 للتاريخ دوراً جديداً . وأسست للعلم أساساً
 سديداً . وكل هذه الآثار العتيقة . ورمم الفراغة
 وجثهم المحنطة . موجودة ومحفوطة في متحف
 مصر وبقاياها كلها العظيمة تشد عليها الرحال .
 ويقصدها أفاضل الرجال . من أقطار أوروبا
 وأمريكا لكشف المعارف التاريخية . وزيارة
 المعالم المصرية . وما وجدوا بعد ما يصحح أخبار
 توراة من قصص موسى وهارون ويوشع

وأحوالهم فكيف من تقدمهم من آدم وشيث
 ونوح وأمثالهم فتحير المعتقدون بتاريخ التوراة في
 كيفية تدارك هذا الخلل الكبير . وهالهم اختلال
 أساس هذا التاريخ الخطير . إذ لا يعقل أن
 المصريين الذين رسموا على الأحجار جميع وقائعهم
 الكلية والجزئية . ونقشوا في الصخور كل ما حدث
 في مصر من الحوادث الملكية والدينية . كيف
 أعرضوا عن ذكر تلك الأمور الهائلة الجسيمة
 من قيام موسى عليه السلام واطهاره الآيات
 العجيبة . وغرق فرعون وجنوده الجرارة
 الكثيرة . فمنهم من هو واضع كف الحيرة تحت
 ذقنه يفكر بعد في التطبيق والتفريق . ومنهم من
 ينتظر مزيد الكشف والتدقيق . لعله يجد طريقاً
 يأول إلى التصحيح والتوفيق . والله تعالى أعلم بما
 ينتهي إليه أمر المكتشفين والمنتظرين . وفي
 ذلك كفاية للمتبصرين .

وإنما نجام قلبه في الجرب
 وإن المادتيقار شربته وعلق
 واستفاد الفعير بانوار هدلية
 وإنما بجزء الفتنة الأضيق بما

المسألة الثانية ❦

سأل حفظه الله عن بيان معنى مناظرة
الملائكة مع الله تبارك وتعالى في استخلاف آدم

❦ الجواب ❦

اعلم أيها الفاضل النبيه أيديكم الله تعالى وإيانا
بروح منه . ووهبنا جميعاً رحمة من لدنه . إن هذه
المسألة لها ارتباط كلي بمسألة معرفة الأرواح
المجردة . والنفوس الفلكية . وفهم معنى تجردها
الذاتي عن المواد واحتياجها الفعلي إليها . وليعلم
أولاً أن الفلاسفة والمحققين من أهل العلم عرفوا
الروح ووصفوها بحدود وتعريفات شتى أحسنها
وأقربها وأبينها للمراد (أنها جوهر مجرد مفارق عن
المادة ذاتاً لا فعلاً) وهذا الحد كما هو غير مخاف
عن البصير مع أنه حد سلبي . وتعريف بالنفي .
لا يبين حقيقة الذات وكنهه المعروف هو تعريف
جامع مانع أكثر تبييناً عن المقصود . من سائر

التعريفات والحدود . فيعرف من هذا الحد .
أن الروح من حيث الذات مبين عن المادة
والماديات فلا توصف بأوصافها من قبيل الخروج
والدخول . والتحيز والحلول . والمواجهة
والاستدبار . والتحرك والاستقرار . فلا تدرك
بالابصار . ولا يغيرها من الحواس . . ومحتاج إلى
المادة في كل الأفعال . وغير مفارق عنها في جميع
الأحوال . إذ لا يتصور التعطيل . فلا يمكن أن
يصدر منها فعل إلا بها . ولا يعقل أن يظهر منها
أثر إلا بآلياتها . مثلاً لا يعقل أن تصدر أفعال
الرؤية والاستماع والكتابة والتفكير منها إلا بآلية
العين والأذن واليد والدماغ وهلم جرا . ولا فرق
في هذه الأوصاف بين الأرواح القدسية الفلكية .
والناطقة البشرية . والحساسة الحيوانية . والسافلة
الشیطانية . فان هذه كلها اعتبارات وإطلاقات
بحسب الآثار والأوصاف والملكات لا بحسب

التجرد الذاتي . والاحتياج الفعلي . والى هذه
النكته التي غفل عنها الاكثرون . وضل وتاه في
فلواتها الاولون والآخرين . أشير في الآية
الكريمة (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ) فان التأهين في مفاوز
الاهام . والغافلين عن حقائق ما وعد به المليك
العلام . لما رأوا في الكتب السماوية . وخصوصاً
الانجيل المقدس أن السيد الرسول . اوارب
المزمع للنزول . يأتي وبين يديه قبيل من
الملائكة المقربين . وينزل ومعه جنود من الملائكة
العالمين . وينصر بلفيف من المسومين والمردفين .
فلما ظهر الرسول المكرم . صلى الله عليه وآله
وسلم . رأوه رجلاً بسيطاً يأكل الطعام . ويمشي
في الاسواق . ويجالس الأعراب . ويجلس على
التراب . فلا ملائكة تطير حول رأسه . ولا
جنوداً من الارواح المزعومة الموهومة تمشي من

قدامه وخلفه . اتقدوا على الرسول بعدم تحقق
النزول بفقدان شرط غير معقول . فنادوا
وأسهبوا . وصخبوا وأطنبوا . (وَقَالُوا مَا هَذَا
الرَّسُولُ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا
أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا) فانزلت
الآية المذكورة سابقاً بكتبتنا واخامأهم . ودحضاً
لحججهم . ودفعاً لاهامهم . مشعرة بان الروح
لا تتجلى الا في الصورة البشرية . والملك لا ينزل
الا بالهيئة الجامعة الانسانية . وبعبارة أوضح .
الجوهر المجرد لا يعقل أن يؤثر الا بالية الابدان .
فالملك اذا نزل ليس الا الانسان . وما أدراك
ما للانسان . الطلسم الاعظم . والجوهر الاكرم .
والهيئة المخصوصة بالسلطة العالية على جميع العالم .
الحقيقة الكاملة الفاضلة . والآية الاولى النازلة .
والذات القابلة لجميع الهيات العالية والساقلة .
فالانسان هو المقصود من أمثال هذه الاسماء

والصفات . والباقي أوهام وأحلام . وتصورات
 وخيالات . نعم كثيراً ما حاول بعض الفلاسفة
 أن يثبتوا عقولاً مجردة على الإطلاق . مباينة عن
 المواد . من حيث الذات والفعل . إلا أنه كفي في
 إثباتها جواد براهينهم . ونبت سيوف تحقيقاتهم
 ونكست أعلام أدلتهم . فقالوا وأطالبوا أكثروا
 وأطنبوا وما أتوا بشيء . كيف لا وهي بقية من
 أوهام الوثنيين . وأحلام اليونانيين . حينما كانت
 أستار الشبهات مسدولة على الحقائق في جميع
 الجهات . وظلمات الليل الاليل محيطة بجميع أقطار
 الارضين والسّموات . ومن خاصية الليل أن
 لا يرى فيه إلا أصحاب القلوب الراقدة الغريقة في
 المنام . وأرباب الادمغة المغمورة باضغاث
 الاحلام . ولقد أوجز وأبلغ العلامة المحقق نصير
 الدين الطوسي قدس الله روحه في كتاب التجريد
 حيث أبان عن ضعف أدلتهم ووهن براهينهم

فقال (وأما العقل فلا دليل على امتناعه وأدلة
 وجوده مدخولة) ولكنني أقول وان كانت أدلة
 وجود العقول عند العلامة الطوسي مدخولة
 ولكن أدلة امكان وجود مجرد ذاتا وفعلا عن
 المواد أيضاً عند البالغين غير معقولة فلنترك الحوض
 في غمرات ظلمات الافكار والاوهام . ولنرجع الى
 بيان ما كنا في سدد حله في هذا المقام . وقد علم
 أولوا النهي أن الله تبارك وتعالى خلق في العالم
 بحكمته البالغة . وقدرته المحيطة . قوتين متضادتين .
 وروحين متباينين . الاولى الروح القدس فاعل
 الخير ومفيض الرحمة . وملهم السداد والحكمة .
 وعبر عنه الانبياء بجبرائيل وروح القدس وروح
 الامين . والفلاسفة بالروح العلوي أو العقل الكلي
 والصادر الاول والنفس الفلكية وأمثالها . والثانية
 الروح الشرير فاعل الشر ومثير النقمة . وملهم
 الزلة والضلالة . وعبر عنه الانبياء بشيطان وابليس

وفي الانجيل المقدس بالوحش الهائل والتنين
الكبير والفلاسفة بالروح السفلى والنفس المطلق
فاذا ثبت أن ارتباط الارواح بالاجسام انما هو
عبارة عن التعلق والاحاطة لا السريان والحلول
أو التحيز والدخول . ثبت أن مرآة تجلي الروح
القدسي هي قلوب الانبياء والمرسلين . وأفئدة
مظاهر أمر الله رب العالمين . فابدانهم الشريفة
هي أعراش استواء الله . وهياكل عبادة الله .
ومصاييح ظهور نور الله . ومظاهر جميع أسمائه
وصفاته . ومدارك فيوضاته وآياته . كما أن قلوب
الاشرار أعراش الارواح السافلة . والنفوس
الخبثية . ومرآة انطباع الاوهام والافكار المضلة
الخبثية . فابدانهم مطايا الضلالة ومظاهر الفتنة
والتفرقة والسنتهم تراجم ابليس فهم حقيقة
الشیطان وأعداء الرحمن . الا أن جند الشيطان هم
الحاسرون وان جند الله هم الغالبون . فاذا علم

ذلك كله يعلم بالضرورة معنى الملائكة والشياطين .
ويعلم معنى المناظرة الحاصلة بين الرب والملائكة
العالمين . ويعلم أيضاً أن كل ما ورد في القرآن الكريم
في هذا المعنى انما هو عبارة عما حدث ويحدث
أو ان ظهور مظاهر امر الله وتجدد العالم بظهورهم
ورجوع الحقائق الاولية بطوعهم . وتحقيق الخلق
والبعث والحشر والنشر بكلماتهم فان هنالك تبيين
الملك من الشيطان . ويفترق جنود الشرك عن
جنود الايمان . ويمتاز الخبيث من الطيب .
والزدي من الجيد . ويعلم الغث من السمين .
والسجين من العليين . ومن المعلوم المحقق عند
أرباب القلوب الصافية والبصائر المنورة . أنه
ما وقع اختلاف بين الملائكة الاعلى الا بعد ما أراد
الله أن ينشئ في الارض خلافة ويعهد بولاية
وينص باستخلاف الفرع المنشعب من الاصل
القديم . ويأمر بالسجود لدى وجهه الكريم .

ولما كان الرجوع مثل الجعل والعود شبه البدء أخبر
الله تعالى بتجدد هذه المناظرة . وتحتم وقوع
المخاصمة . حيث قال جل ذكره وجلت عظمته
(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ مَا كَانَ
لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يُخْتَصِمُونَ)
فصرح الله تعالى بإفصح قول وأبلغ بيان في كتابه
الكريم أن الخصومة لا محالة واقعة بين الملأ الأعلى
والمناظرة متوقعة في الجنة العيا ليمتاز أصحاب اليمين
من أصحاب الشمال . ويتميز أهل الهدى من أرباب
الضلال . ويعرف الملك من الشيطان . ويفرق
بين عبدة الطاغوت وعباد الرحمن . ولكنه تعالى
أمر نبيه عليه السلام أن يكتم شرح هذه المخاصمة
والمناظرة ويتصل الى العباد عن تفصيلها . ويتركها
تحت الاجمال في سنبلها . فاذا أجمل الله الكلام
رفقا بالخلق بسبب ضعفهم . فلا بد أن يعذرنا
حضرة السائل الفاضل اذا نحن اختصرنا الكلام

وتركناه بعد التحقيق المفيد تحت شيء من الايهام

المسألة الثالثة ❦

سأل حفظه الله أن الصلاة والزكوة والصوم
والحج هل لها فوائد وتأثيرات حقيقية أو هي
العباب وحشية وعوائد غير مفيدة ملية .

الجواب ❦

اعلم أيها الفاضل المجيد . أيديك الله وإيانا
بالبصيرة الكاشفة والرأي السديد . أن أمثال هذه
المسائل منوطة بالاعتقاد بان لنا لها حقاً حكماً
محيطاً قاهراً فوق العباد باعث الرسل ومرسل
الانبياء لتشريع الشرائع وإيجاد الاديان فلا يعقل
أن يمتنق انسان ديناً من الاديان الا بعد الاذعان
بهذه الحقيقة ولا يتصور أن يتحمل عاقل مصاعب
الرقية ومتاعب العبودية الا بعد الاعتراف
بهذه الدقيقة . ونحن معاشر الامة البهائية نعتقد أن
الاديان باجمعها شرعت باذن الله وانتشرت بقدرته

وعلت بكلمته وغلبت على العالم بارادته ومشئته .
ثم اعلم أيها الفاضل أن الاديان كما أنها منوطة
بالاعتراف بوجود الله تبارك اسمه وعلت كلمته
كذلك هي منوطة بالاذعان بخلود الارواح وبقائها
بعد الاتقطاع عن الابدان . فلولو الاذعان بهذه
الحقيقة لما اعتنق انسان ديناً ولا اتبع عاقل شريعة .
فاذ اعلم أن الارواح باقية خالدة والعوالم أبدية غير
بائدة وأن الابدان كما بناها سابقاً مستلزمة للارواح
والقوى لا تظهر منها أفعال الا بالية الاشباح
فهي مظهرة للأفعال الصادرة منها . وملائمة للملكات
الراسخة فيها . فلا يشك عاقل أن الديانة مطلقاً
لا تتم الا بان تكون مبنية على قسمين مفروزين
من الحدود . ومؤسسة على ركنين وثيقين من
الاحكام .

{ القسم الاول } ما يرتبط بظواهر العالم
وتأليف الامم من قبيل وجوب العدل والاحسان

وحفظ حقوق الناس وآداب المعاملات وكيفية
المعاشرات وسياسة الرعيه وترقية الامة وغيرها
مما تحفظ به الهيئة الجامعة البشرية . وتؤسس
عليه دعائم الحضارة والمدنية .

{ والقسم الثاني } ما يرجع الى ترقى النفوس
وتنقية القلوب وتهذيب الاخلاق وتكميل العقول
لما يرجى من بقائها في العوالم الآتية . والنشأة
الثانية . من قبيل الصوم والصلاة والاذكار
والتسيخات وغيرها من أصناف العبادات . ومن
المعلوم ان الحدود والاحكام منها ما شرعت لخاصيتها
الروحانية . وفائدتها الاخروية . وحدها كالصلوات
والتسيخات . فانها لا رابطة بينها وبين الفوائد
المدنية . وحفظ الهيئة الجامعة البشرية . الا
ببعض ملاحظات طفيفة بعيدة . ومنها ما شرعت
لظواهر الملك وليس لها رابطة بالارواح كغالب
أحكام المعاملات والسياسات . ومنها ما شرعت

لما فيها من الفائدتين المذكورتين . ولها آثار
 باهرة في كلتا الرتبين كالعدل والاحسان والحج
 والزكاة والصدق والامانة والعفة والطهارة وغيرها
 من اصناف المعروف والاجتناب عن الموبقات
 كالقتل والزنا والكذب والحيانة والظلم والغيبة
 والافتراء وغيرها من انواع المنكر . فهذه كلها لها
 تأثيرات ظاهرة فيما يتربى به الانسان . وتهدب
 به الاخلاق وتحفظ به الهيئة الجامعة وتسان به
 حقوق الامة . فاذا علم ان الفاعل والمؤثر هو
 الروح وليس للبدن الاحكام الآلية يعلم بالضرورة
 مقدار تأثير نفس الارواح من صدور هذه
 الافعال والتخلق بالاخلاق الفاضلة او الرذيلة . فان
 الخلق ليس الا الوصف الراسخ في الفاعل بتكرر
 الفعل حتى يصير ملكة . وبالملكات يحشر الانسان
 وبها تعرف مقادير الربح والخسران . فلتتكملم في
 فوائد الاحكام الاربعة التي سأل عنها حضرة

السائل الفاضل هداه الله تعالى الى جناب اسمه
 القيوم . وسقاه من الرحيق المختوم
 (أما الصلوة) فهي معراج المؤمن وقرّة
 عين الموقن ومقام المناجاة مع الله . ومعهد القيام
 بين يدي الله والانابة اليه . والتضرع لديه .
 والاعتراف بربوبيته . والاقرار بوحدانيته .
 والخضوع لدى ارادته . والامتثال لمشيئته . مما
 يؤثر في روح القواد ويلين القلب ويبعده عن
 الظلمة والقسوة . فينتبه الى فضائل العبودية .
 ويدرك معنى المقت والشروع الناتجة عن المعصية .
 واذا أدرك الانسان آثار الاشياء ببصيرة نيرة
 وعرف تأثير الافعال بيقين مبين وعلم ورأى
 فوق هذا وذلك ان له إلهاً قادراً قاهراً محيطاً
 مقتدراً يجازى العبد بكل صغيرة وكبيرة . ويأخذه
 بكل خطيئة وجبريرة . فلا بد له بالضرورة ان
 يجتنب عن المعاصي ويتجنب المخازي عن رهبة

حقيقية وخوف مكين وهذا سر قوله تعالى (إنَّ
 الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) وقوله
 (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ) . ولعمر الحق لو لم يكن للضلوات
 وغيرها من العبادات الا أنها تورث اليقين وتفيد
 القطع والاطمئنان فيما هو راجع الى الدين لكفاه
 فضلا اذ لا حيوة الا بالدين ولا دين الا باليقين
 فافهم سر قوله تعالى (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)
 وسبب حصول اليقين من العبادة هو ان اليقين
 ليس إلا كمال ادراك الروح والروح قوة مدركة
 تحيط بحقائق الاشياء أو تنطبع عليها صورها وهي
 تتقوى وتصفى وتزيد قوة وصفاء بالعبادة . والعبادة
 اذا كان المشتغل بها ملتفتا الى المعاني المقصودة من
 الفاظها وأركانها ومدركا لذة الاشتغال بها تمنع عن
 المعاصي والموبقات التي بها يقسو القلب . وتزيد
 كدورة الروح . فاذا زادت قوة الروح وجلاها

وصفائها تزيد فيها قوة ادراك الحقائق أو انطباع
 صورها فيها . فالروح القوى المصنفي يدرك حقائق
 الاشياء كما هي عليه بالاحاطة . والروح المكدر
 يدرك صور الاشياء بالشواهد والادلة . ولذا
 اختصت علوم الانبياء بالمشاهدة . واختصت
 معارف العلماء بالقياسات والادلة . ولا يعترف
 مقدار هذا الفرق المبين . الا البالغون بمقام اليقين
 وأما غيرهم ممن لم يبلغوا بعد بهذا المقام فيمكنهم ان
 يعرفوا هذا الفرق من آثار علم الطرفين من أصحاب
 الانبياء والطبقة الاولى من أهل الايمان . والفلاسفة
 والعلماء من أصحاب الدليل والبرهان . فانهم يجدون
 بين آثار الطرفين فرقا واضحا وبنوا شاسعا كما سنوضحه
 ان شاء الله . وليس هذا الا من مآثر اليقين . وفيها
 كفاية للمتبصرين . ولا عبرة لما تقوله الشيع
 الطبيعية من المادية والدروينية ان هذه الآثار هي
 انفعالات وهمية وتأثرات خيالية لا حقيقة لها بل

رسخت في أذهان أهلها بطول الممارسة . وكثرة
المزاولة . لان ارتقاء الانسان في مراتب الايمان
الى درجة يبذل روحه لصون دينه تدل دلالة
واضحة على صحة ايمانه وحقية يقينه . وتحقق
وتتجلي هذه القوة الفائقة . والسمة المدهشة في
العقائد الاجتهادية الكسبية لا العقائد الوراثة
التقليدية ويظهر الفرق بينهما بناء الاولى ونفوذها
كالبذر الطيب في الارض الصالحة . وحبوط
الثانية وسقوطها كالبذر الفاسد في الارض الخبيثة
. ومن المعلوم أن الشك واليقين والظن والقطع
وأمثالها من الامور القلبية الاعتقادية . ليست
من الامور المدركة بالحواس الظاهرة . حتى
يستدل عليها بالادلة الهندسية . والقياسات
الفلسفية بل تدل عليها الافعال وتشهد لها القلوب .
وهذا سر الآية الكريمة الفرقانية حيث قال جل
ذكره مخاطباً لليهود) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ

زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الموتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فان اليهود كانوا
يعتقدون أنهم الشعب المقدس والذرية الصالحة .
والاسرة الطيبة الطاهرة . وأولياء الله من دون
الناس . فاحمهم الله تعالى بهذا البرهان وأخرجهم
من أهل الايقان . وبين سمة أولياء الله . وأبان
عن موقف أحياء الله . ومن الثابت المقرر عند
أولى البصائر أنه اذا ثارت عواصف الافتتان .
واشتدت أعاصير الامتحان وهجم الوحش الكاسر
على المؤمن الحاسر . وتدجج له بمرهف مخالبه
وأنيابه . وكثر الموت الزوام عن نواجذه وأسنانه
حيثئذ يميز الشاك من الموقن . والمجتهد عن المقلد .
والثابت من الزائل . والحق من الباطل . ولقد
شاهدنا ورأينا في زماننا هذا كثيراً من النفوس
الزكية وأصحاب القلوب الثابتة النقية . حين
اشتداد هذه العواصف . وهيجان هذه القواصف

بذلوا بغاية السرور مهجهم في سبيل الله وأهدروا
في نهاية الاطمئنان دماءهم في محبة الله فاستهانوا
بالحيوة . واستقبلوا الموت بغاية النشاط . وسرعوا
الى مشهد القضاء . وسارعوا الى معهد القضاء .
متلهي الوجوه . مستبشري القلوب . حتى حير
العالمين اضطبارهم . وأدهش الناظرين سكوتهم
وقرارهم . وما بدّلوا دينهم . وما كتّموا ايمانهم
ولعبر الحق هذه هي الشهادة الفعلية التي تشهد على
صحة دينهم . وحقيقة يقينهم

وادلّ من ذلك على علو مقام يقينهم . وسمو
مكانة دينهم . هو قدرتهم على تقليب قلوب العباد
وتمكنهم . من تحويل عقائدهم الفاسدة الى العقائد
الصحيحة . وتبديل خلائقهم القبيحة الوحشية .
بالاخلاق الحسنة المرضية . فان الله تعالى وزع
بهم من الاخلاق والعوائد والعقائد القبيحة الخبيثة
الراسخة في الملل القديمة ما لم يزرعه الفلاسفة بقوة

أفكارهم وسعة معارفهم . لان الله تعالى وهب
لاوليائه قدرة على انفاذ كلمته ونشر دينه واثبات
أمره واظهار براهينه من غير ان يستمدوا من
القوى الملكية البشرية . أو يرتكنوا الى عماد
سوى القدرة الالهية . من قبيل العلوم والمعارف
الاكتسابية . أو المال والثروة الدنيوية . أو
العزة والسلطة الملكية أو التعاون والعصية القومية
فرفعوا سماء دينه بهذه القدرة الباهرة . وما
شيدوها على عماد من تلك الاعمدة المذكورة
الظاهرة . وهذه حقيقة تميز أهل الجهل عن أهل
الايقان . ويمتاز بها أهل الشك عن أصحاب
الايقان

ومن يتدبر في حالات الطبقة الاولى من
المؤمنين من اصحاب الانبياء والمرسلين كأصحاب
سيدنا عيسى واصحاب سيدنا الرسول عليهما السلام
يمكنه ان يدرك بعض آثار هذه القوة القوية .

ويفهم معنى القدرة الباهرة الالهية . فان تلامذة
 سيدنا عيسى عليه السلام نشروا دين الله وبدلوا
 العقائد السخيفة الراسخة في الامم وأزالوا العوائد
 الوحشية المتمكنة في أهل العالم من غير أن يوزعوا
 بين الناس كتباً مطبوعة . أو يهروا أنظارهم بآلات
 بدعية مصنوعة . أو يفتحوا المدارس العلمية . أو
 يستمدوا من القوى العسكرية . أو يساعدهم
 هزيم رعود المدافع . أو يعززهم صليل السيوف
 القواطع . مما يرتكن عليه المعاصرون . وينتصر
 به الحاضرون . بل نشروا دين الله بإيمانهم .
 وأزالوا الكفر بقوة ايقانهم . ونصروا أمر الله
 بدمائهم . وأعلوا كلمته بنذل أرواحهم . ولكن
 أجبار اليهود وعلماء الجوس وفلاسفة يونان وحكماء
 الروم ما كانوا متمكنين أن يزيلوا واحدة من تلك
 العقائد والعوائد السخيفة التي تضحك منها اليوم
 ذريتهم وأولادهم . وتهزوا بها أعقابهم واحفادهم

وكذلك أصحاب الرسول عليه السلام أزالوا
 ظلمة الكفر عن العالم بأنوار هذه القوة السماوية
 وقطعوا دابر الشرك بهذه القدرة الالهية . ويكفي
 لادراك بعض آثار هذه المنحة الكبرى والموهبة
 العظمى . ما ورد في السير الشريفة . والاخبار
 الصحيحة . ان كبار الانصار لما آمنوا وقبلوا
 النبي عليه السلام في السنة الاخيرة قبل الهجرة
 طلبوا منه أن يرسل معهم أحداً من الصحابة
 ليعلمهم الصلاة والاحكام ويدعو أهل المدينة الى
 الاسلام فأرسل معهم مصعب بن عمير وكان
 مصعب شاباً أمياً لا يعرف القراءة والكتابة .
 ولا كان معروفاً بالفصاحة والخطابة . ولا كان
 يحفظ الا الصلاة المكتوبة وبعض آيات القرآن
 فدعا أهل المدينة الى الايمان . فأمن بيدها أكثر
 أهل يثرب قبل أن يهاجر النبي عليه السلام اليها
 ويشهر السيف كما يدعى المكابرون عليها

وكذلك رأينا وشاهدنا في زماننا هذا بعض
الاميين ممن وهبهم الله هذه القدرة الباهرة انهم
غلبوا بقوة يقينهم وصدق ايمانهم على قلوب الملل
العتيقة التائهة في ظلمات الاوهام ومفاوز التقليد
وبدلوا عقائدهم الباطلة الوراثةية . بالاعتقادات
الصحيحة البرهانية . وازالوا اوهامهم . واكملوا
ايمانهم . فتجددت اخلاقهم . وطابت اذواقهم
وانارت بصائرهم . واطمئنت ضمائرهم فتبدلت بنور
الايمان جهلهم بالعلم . وضعفهم بالقوة . وخيانتهم
بالامانة . وشرهم بالعفة . وجفاؤهم بالالفة .
وجبنهم بالشجاعة . وخشونتهم بالوداعة . وبالاجمال
تبدلت جميع اخلاقهم العتيقة الباطلة بالاخلاق
الجديدة الفاضلة وعقائدهم الوراثةية الوهمية .
بالاعتقادات الصحيحة البرهانية حيث يمكن
للعاقل أن يحكم بتبديل خلقهم . وتجديد اولادتهم .
وانهم صاروا احياء بعدما كانوا امواتا ونبتوا نباتا

بعد ما كانوا رفاتا . وهذه كلها مما نلوناها عليك
انما هو من آثار اليقين . واليقين هو أثر العبادة كما
نزل على الرسول الامين (وَاَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ) . وفيها كفاية للمستبصرين)
{ وأما الزكوة } فهي من الامور الظاهرة
فوائدها الباهرة آثارها فان أداء الزكوة يؤثر في
النفس بما يوجد فيها من فضيلة السخاء ويزيل
حزازة الشح والبخل وفيها سر الكرامة والغبطة
الموصلة الى السيادة والزعامة ولا يمكن حفظ
الهيئة الجامعة البشرية الا بان تؤدي الرعية
ضريبة معلومة لسلطانهم . ليصرفها في وسائل
حفظ حقوقهم وتدير أمورهم . واصلاح شؤونهم
وسياسة جمهورهم . ولهذا الفوائد جعلها الله تعالى
من اصول أحكام الديانة الاسلامية . وبين
مصارفها في الآيات القرآنية . ولكن القوم
حرفوا كلمة الله . وبدلوا حدود الله . وصرفوها

في غير ما أمر به الله^(١) . فتبدلت قوتهم بالضعف
وحياتهم بالموت . واستقلالهم بالاستعباد . وما
ربك بظلام للعباد

{ وأما الصوم } فأثره أظهر وأجلى . وأتم
وأعلى . لان فيه فوائد الصلاة مما ذكرناها
وبينها إضافة عما فيه من ترويض النفس الحيوانية
وكبح جماح القوى الشهوانية وهذه المسألة واضحة
بالعيان . لا تحتاج الى تطويل الكلام ومزيد البيان
اذ من المعلوم ان الانسان نوع من أنواع الحيوان
والقوى الحيوانية بحكم الذات منجذبة الى الطبائع
المطبوعة بها . ميالة الى الملاذ المستلذة منها . وقد
بيننا في سائر مصنفاتنا ان القوى التشريعية سواء
كانت الهية أو بشرية . تابعة للقوى الطبيعية معدلة
للافعال النفسانية . اذ لا يمكن كبح جناح النفوس

(١) فان اكثرهم لا يؤدون الزكاة وقليل ممن

يؤدونها لكن لغير أهلها

وصرف ميلها عن اللذات الدنية . والشهوات
المهلكة الحيوانية . الا بترويضها بالرياضات
الشرعية المأثورة . وكفها عن انهماكها في
الموبقات بالسنن المسنونة . لا بالرياضات الشاقة
المتدعة . كما تعتقده الفرق الصوفية ولا بصرف
التهديب والتعلم في المدارس كما تزعمه الفلاسفة
الطبيعية

{ وأما الحج } فانه أتقن حكم جامع للفوائد
الروحانية والمدنية . شامل للسياسات الدينية
والملكية . اذ شرع الله تعالى فيه مناسك واعمالا
من الصلوات والاذكار والتسبيحات مما بينا
فوائدها في الترقيات الروحانية وقواعد وافعالا
من التعارف والتعاون والاختلاط والارتباط بين
الامم المختلفة جنساً مما يرجع الى الفوائد المدنية
ولو لم يكن لهذا العمل المبرور والعبادة المحموده
ما يعرف العاقل الفطن من دقائق الآثار وعظائم

الاعمال الا ما ذكرناه من تسهيل وسائل
التآلف والتوافق بين الامم الكبيرة . وامكان
ايجاد الاتحاد والاتلاف بين الاقوام العظيمة .
لكان كافياً لوجوب اعتباره . ووافياً للاعتراف
بعظيم آثاره . فانه ليس من الامر السهل الهين
ان يجتمع من تخوم الصين شرقاً الى اقصى افريقيا
غرباً ومن اقصى ممالك الهند جنوباً الى اواخر
سيريا شمالاً كل متمكن من اشرف القبائل
وزعماء الامم في كل سنة في هذا الجمع الرهيب
الكبير لاداء هذا المنسك العظيم العسير ويرون
ذلك فرضاً دينياً عليهم وامراً الهياً لديهم ولعمرو
الحق لو علم امراء الاسلام والخلفاء والملوك الذين
استولوا على هذه البقعة المقدسة والارض المكرمة
وعرفوا كيف يستعملون هذه الحكمة العالية .
والسياسة السامية . وعاملوا زوار هذا البيت
الكريم احسن معاملة . وجاهلوهم اليق مجاملة .

وسهلوا وسائل مسافرتهم ومهدوا وسائل راحتهم
وقاموا لدعوتهم الى الاتفاق . وحذروهم عن
عواقب الشقاق . ونهوههم الى فوائد الوفاق .
لتمكنوا من جمع كلمة المسلمين . وابقافهم في ظل
راية واحدة ولحصلت لهم قوة غالبية . وكلمة عالية .
مما لا يعتبره الا كل عاقل زكي . ولا يستهين به الا
كل خامل غبي . ولكن . (وياللاسف) ما عرفوا
قدر هذه الحكمة المحيطة . ولا ادركوا غاية هذه
السياسة السديدة . واسبوا المعاملة مع زوار
هذا البيت العتيق . وسلبوا ونهبوا حجاج هذا
المكان السجيق . حتى قضى اجل الكتاب .
وظفقت شمس العزة والنعم الممنوحة للاغتراب .
وفي ذلك آيات لا ولى الا ليا

المسألة الرابعة ❦

سأل حفظه الله تعالى عن المعاني المقصودة
من عصي موسى عليه السلام وانفلاق البحر بها